العلاقة بين النظرية والتطبيق فى العلاقات الدولية

إعداد

دكتور / عيسى أحمد عيسى الشلبى
أستاذ مساعد فى جامعة الحسين بن طلال
قسم الإعلام والدراسات الاسترتيجية – معان - الأردن

الملخص:

شهدت العلاقات الدولية في القرن العشرين تحولات جذرية من حيث نطاق تفاعلاتها وتنوع قضاياها ومشاكلها، وانطلاقاً من ذلك اكتسبت العلاقة بين نظرية الواقعية والعلاقات الدولية متانة وتماسكاً، منذ أن ظهرت العلاقات الدولية كمفهوم أو حقل أكاديمي مستقل، ورسخت تلك العلاقة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بحيث أصبحت الواقعية النموذج المعرفي أو النظرية المسيطرة في الدراسات الأنجلو أمريكية نظراً لإمكانيتها، وقد تضمنت الدراسة نظريات العلاقات الدولية ومراحل تطورها، وفي إطار البحث تم عرض للمفاهيم الأساسية للنظريات والعلاقات الدولية، ومن ثم السياق التاريخي للعلاقات الدولية، وكيفية تطبيق نظريات العلاقات الدولية على الساحة السياسية للدول، وقد افترضت الدراسة أن نظرية الواقعية هي نتاج لمقدمات فكرية وفلسفية ورؤية إنسانية، وأن تلك النظرية تعاني من الأحادية في التفسير، والمبالغة في تضخيم عامل القوة على حساب العوامل الأخرى المؤثرة على التفاعلات في العلاقات الدولية، وأن التطورات التي حدثت في العلاقات الدولية بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة فرضت مراجعات لمفاهيم وفرضيات تلك النظرية.

الكلمة المفتاحية: العلاقات الدولية, نظريات العلاقات الدولية

Abstract:

International relations have witnessed in the twentieth century radical changes in the scope of their interactions and the diversity of issues and problems, and from that gained the relationship between realism theory and international relations durability and coherent, since that international relations have emerged as a concept or an independent academic field, and cemented that relationship in the post-World War II so that became a real cognitive model or the dominant theory in the Anglo studies US due to its potential, the study included the theories of international relations and stages of development, and in the framework of the search has been the basic concepts of the theories of international relations, and then the historical context of international relations, and how to apply the theories of international relations in the political arena countries, the study was supposed to realism theory is the result of introductions intellectual, philosophical and humanitarian vision, and that the theory suffers from unilateral interpretation, and overstatement of the power factor at the expense of other factors affecting the reactions in the international relations, and developments in international relations after the end of Cold War imposed a review of the concepts and hypotheses that theory.

Key words :International relations , theories international relations

مقدمة:

برز العديد من الأعمال التي حاولت أن تقدم تفسيرات لما يحدث في العلاقات الدولية، في شكل نظريات ومفاهيم، وتُعد تلك النظريات من أبرز الأدوات التي يمكن الاعتماد عليها لفهم وتفسير ما يحدث في العلاقات الدولية، ومع انتشار الثورة السلوكية في العلوم الاجتماعية ومحاولتها تطوير مناهج هذه العلوم إسوة بنظيراتها في مجال العلوم التطبيقية والطبيعية، شهد حقل العلاقات الدولية حواراً ثانياً بين اتجاهين، يركز الأول على دور الفلسفة والتاريخ في بناء النظرية وفهم وتفسير العلاقات الدولية، وسمي بالاتجاه التقليدي، ويركز الثاني على دور المناهج المعاصرة والوسائل والأدوات الرياضية والكمية في بناء النظرية وتفسير العلاقات الدولية، وسمّي بالاتجاه السلوكي أو العلمي، ومع بدايات السبعينيات من القرن الماضي وتزايد الاهتمام بقضايا الاقتصاد السياسي الدولي ظهرت نظريات جديدة حاولت بعض منها أن تطور فرضياتها انطلاقاً من التقاليد الليبرالية وأطروحتها بشأن التعاون الدولي والبعض الآخر حاول أن يستند إلى التقاليد الماركسية وأطروحتها بشأن الإمبريالية والرأسمالية وواقع اللامساواة في السياسة الدولية، ليطور فرضيات لفهم العلاقات الدولية من خلال الواقعية، والليبرالية، والراديكالية.

أولاً: **أهمية الدراسة**:

ونشير هنا إلى الأهمية النظرية والتطبيقية حيث تأتي أهمية الدراسة كونها تمثل إحدى الموضوعات التي تأخذ طابعاً نظرياً في العلاقات الدولية قليلة إن لم تكن نادرة، من هنا تأخذ هذه الدراسة موقعها من الأهمية أولاً من تغطيتها لجانب نظري واسع من الحقل، فإلى جانب تقديمها للواقعية كنموذج معرفي، تتناول الحوارات النظرية الثلاث في حقل العلاقات الدولية وتبحث في رؤيتها للعالم ومفاهيمها وفرضياتها وقواعدها للتفسير إلى جانب أجندتها البحثية، بأسلوب علمي راسخ، معتمداً على المراجع الأساسية للنظريات المختلفة.

أما الأهمية التطبيقية للدراسة فتأتي من خلال إلقاء الضوء على الأهمية الثانية لهذه الدراسة تكمن في جانبها العملي، أي ارتباطها بالواقع العملي للسياسة الدولية، وتأثير هذه النظريات على صنع السياسة الخارجية للدول المختلفة من جانب، وتأثيرها على المؤسسات البحثية والدوائر المهتمة بالتنظير لصناع القرار في الدول المختلفة، ويأتي ارتباط السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بالفرضيات الواقعية كمثال بارز على هذا الجانب، وهي الدولة التي تمسك بزمام المبادرة في السياسة الدولية الراهنة، فمنذ أمد بعيد كانت التقاليد

الواقعية بمثابة خارطة فكرية لصناع القرار الأمريكي والمستشارين المساهمين في صنع السياسة الخارجية. أي أن معرفة فرضيات هذه النظريات تساعد في فهم الإطار العام للسياسة الخارجية للدول المختلفة، خاصة الدول التي تفضل نظرية معينة.

وتتلخص أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١- ندرة الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع على الرغم من أهميته.

٢- كيفية اختلاف العلاقات الدولية عن علم السياسة العملية.

٣- إن دراسة العلاقات الدولية هي نفسها دراسة السياسة الخارجية.

٤- ماهية العلاقة بين النظرية والتطبيق.

٥- ما يمكن توقعه من وجود نظرية للعلاقات الدولية يمكن تطبيقه .

ثانياً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق عدّة أمور تمثّل الهدف الرئيس للدراسة من أهمها:

١- ما هو السبيل لفهم وتفسير الظاهرة الدولية موضوع بحثنا، تفسيراً يقرب لنا الواقع التطبيقي للنظريات الكلاسيكية والمعاصرة، ويزيل الغموض الذي يكتنف الظاهرة الدولية من حيث مسبباتها ومكوناتها البنيوية؟

٢- هل النظرية جاءت لتعبر عن الواقع والتطبيق الفعلي أم أنها مجرد إدراكاً ذهنياً للواقع فحسب؟

ماهية الدور الذي تلعبه النظريات الكلاسيكية والمعاصرة في التطبيق العملي للعلاقات الدولية.

ثالثاً : مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أنه إذا كانت النظرية لا تنفصل عن التطبيق والواقع الدولي المعاش فلماذا تنعكس التحولات التي تشهدها العلاقات الدولية على نظريات العلاقات الدولية، وإلى متى. ومن خلال ذلك سوف تحاول الدراسة تناول النظرية الواقعية ومراحل تطورها محاولةً التعرف على أطروحاتها في فهم وتفسير الواقع الدولي والعلاقات الدولية. كما تتمثل المشكلة البحثية في ماهية أثر ظهور النظرية الواقعية على الساحة الدولية، ومدى مساهمتها في تقديم نظرية علمية دقيقة يمكن من خلالها بلورة نظرية علمية دقيقة تساعد على تناول ظواهر العلاقات الدولية.

اتساقاً مع إشكالية الدراسة تأتي تساؤلات بحثية، من أهمها:

١- هل يمكن أن تتخصص كل نظرية في مجال محدد أو يمكن استعمال نظرية محددة في وصف وتفسير حالة معينة، ومن ثم استبدالها بنظرية ثانية في حالات أخرى.

٢- إذا كانت النظرية لا تنفصل عن التطبيق والواقع الدولي المعاش، فهل انعكست التحولات التي شهدتها العلاقات الدولية في النصف الثاني من القرن العشرين على نظريات العلاقات الدولية؟ وإلى أي مدى؟

٣- هل يمكن لنظرية واحدة من النظريات المطروحة في مجال العلاقات الدولية أن تفسر جميع التفاعلات الدولية؟

٤- هل تعد العلاقات الدولية علماً مستقلاً بذاته أم أنه نابع من إحدى العلوم الأخرى؟

٥- ما هي المبادئ والعوامل التي تؤثر في العلاقات الدولية؟

٦- ما هو العامل الحاسم في تحديد سير العلاقات الدولية هل القوة أم الاقتصاد والثروة أم الأفكار والثقافة؟

٧- ما هي الظروف التي أسهمت في إظهار النظرية الواقعية كنظرية جديدة في العلاقات الدولية

٨- ما هي الأطروحات التي تقدمها النظرية الواقعية الكلاسيكية ولاسيما فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية والدولة؟

٩- ما هي رؤية تلك النظرية للسياسة الدولية، وما هي وجهات النظر المطروحة في هذا الشأن؟

رابعاً: : **فروض الدراسة**:

تقوم الفرضية الأساسية لهذه الدراسة على اعتبار أسبقية وشيوع النظرية الواقعية في العلاقات الدولية وهيمنة فرضياتها متغيراً مستقلاً، وبناءً على هذه الفرضية الأساسية وطبيعة العلاقة بين المتغيرين يعتمد البحث على فرضيات فرعية أخرى، منها:

١- إن التطورات التي حدثت في العلاقات الدولية بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة فرضت مراجعات لمفاهيم وفرضيات النظرية الواقعية.

٢- على الرغم من ظهور نظريات جديدة في العلاقات الدولية واعتمادها على منطلقات وأدوات أخرى في التفسير، لازالت نظرية الواقعية تتمسك بفرضياتها الأساسية وتحتفظ بجانب كبير من نفوذها في السياسة الدولية.

٣- إن نظرية الواقعية تعدّ نتاجاً لمقدمات فكرية وفلسفية ورؤية للإنسان، والحياة يغلب عليها النزعة التشاؤمية للإنسان، وترجح علاقات التصارع في العلاقات الإنسانية.

٤- إن نظرية الواقعية تعاني من الأحادية في التفسير، والمبالغة في تضخيم عامل القوة على حساب العوامل الأخرى المؤثرة على التفاعلات في العلاقات الدولية.

٥- إن الخيارات المتاحة لباحثي العلاقات الدولية ليست أن ينأوا بأنفسهم بعيداً عن الممارسة، أو أن يدعوا فهماً متميزاً للعلاقات الدولية يتيح لهم معرفة الحقيقة والهمس بها لصانعي القرار، بل عليهم تقبل حقيقة أن الاعتبارات الأخلاقية لا يمكن فصلها عن البحث، ولا يمكن إدراك أهميتها إلا عندما تتم الدعوة إلى تغييبها أو الإلحاح على ذلك.

خامساً: مناهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي. فالمنهج الوصفي عمل على وصف السياق التاريخي للعلاقات الدولية، أما المنهج التحليلي فعمل على تحليل النظرية الواقعية الأصلية وتوضيح أهم مفاهيمها وفرضياتها وقواعدها للتفسير والوقوف على مواضع الضعف في النظرية الواقعية، وكيفية تطبقها على الساحة الدولية.

سادساً: النطاق الزمني للدراسة:

لقد اختير النطاق الزمني للدراسة بناء على ظهور نظريات العلاقات الدولية عقب وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى متمثلة في نظريتي الواقعية والمثالية للتعرف على تلك النظريات ومدى تأثيرها على العلاقات الدولية من حيث الواقعية والتطبيق.

سابعاً: الدراسات السابقة:

(١) نادية محمود مصطفى (١٩٨٥)[(١)]:

دراسة بعنوان: "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد"

وقد تضمن موضوع الدراسة الجدال الثالث الذي تبلور منذ بداية السبعينيات في ظل الوضع الراهن لدراسة العلاقات الدولية، أيْ في ظل مرحلة "ما بعد السلوكية" من أجل تحديد أهم الاتجاهات الحديثة للدراسة، وما إذا كانت ترقى إلى مرتبة المنظور السائد، وتمثل مرحلة ما

(١) مصطفى، نادية محمود، "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد"، مجلة السياسة الدولية، العدد (٨٢)، أكتوبر ١٩٨٥م.

بعد السلوكية رد فعل للانتقادات التي تعرضت لها السلوكية، وقد أوضحت الدراسة رد فعل الانتقادات التي تعرضت لها السلوكية من حيث المبالغة في تركيز الاهتمام على المشاكل والأساليب المنهجية، والكمية لأخذها المعنى الضيق للعلمية والمنهجية، كما أوضحت الدراسة ما شهدته تلك المرحلة من ناحية ومن ناحية أخرى تجدد الاهتمام بمشاكل أو مضمون العلاقات الدولية وعلى قمتها مشاكل وموضوعات حديثة ذات طبيعة اقتصادية وهو محور هذه الدراسة المتطورة للعلاقات الدولية انطلاقًا من افتراضات جديدة تعكس الحقيقة الدولية.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي:

١- إن كلاً من الواقعية والعالمية يقدم منطلقات مهمة لفهم عملية التطورات الدولية بين هذه المنطلقات يثير الاضطراب؛ لأنه لا يمكن أن تكون جمعيها صحيحة.

٢- إنّ النظام الدولي مازال ينظر إلى العديد من سماته الأساسية بأنه يمثل نظاماً مابين الدول، لكن هذا لا ينفي أن العديد من القوى قد مارست تأثيرها على نحو مغاير للدولة القومية التي تسعى في نطاق قدرتها على تشكيل الأحداث في بعض المجالات من ناحية ولكن ضيقت من هذه القدرة في مجالات أخرى.

٣- إن هذه القوى عادة ما تتلخص في مصطلح الاعتماد المتبادل، فهي نتائج للتغير في طبيعة الدول ذاتها من ناحية ونتائج للأساليب الجديدة للتفاعل بين هذه الدول من ناحية أخرى.

٤- إن تأثير الواقعية في العلاقات الدولية يذهب إلى جذور اهتمامات الدول بالأمن والرخاء في ظل القومية المعاصرة ومن خلالها تؤثر على سياسات الدولة المعاصرة.

(٢) أنور محمد فرج (٢٠٠٧)[٢]:

دراسة بعنوان: "نظرية الواقعية في العلاقات الدولية-دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة"

وقد تضمن موضوع الدراسة عرض للعلاقات الدولية كظاهرة تاريخية، وإشكالية تعريف العلاقات الدولية وماهية المعايير المستخدمة، كما أوضحت الدراسة مكانة النظرية والنموذج المعرفي في العلاقات الدولية، وبيّنت الدراسة نظرية الواقعية كنموذج معرفي لدراسة العلاقات الدولية، كما قامت الدراسة بعرض نظريات العلاقات الدولية في ضوء الاقتصاد السياسي الدولي،

(٢) فرج، أنور محمد، "نظرية الواقعية في العلاقات الدولية-دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة"، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٧م.

وفي الأخير قامت الدراسة بعرض للحوارات والمداخل المعاصرة للعلاقات الدولية في ضوء النظريات الحديثة.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي:

١- إن تاريخ تلك العلاقات قديم منذ خلق الإنسان واستخلافه على الأرض. ولكن هذا البعد التاريخي للعلاقات الدولية لا يعني أن العلاقات الدولية كانت قد شهدت دراسة معرفية واضحة الملامح منذ القدم، بل تأخر ظهور العلاقات الدولية كحقل معرفي مستقل إلى بدايات القرن العشرين، وبعد ذلك تكونت لها مؤسسات وباحثون وتقنيات بحثية خاصة بها.

٢- إن مفهوم النموذج المعرفي هو أكثر ملاءَمة لدراسة نظريات العلاقات الدولية من حيث تناول التطور التاريخي لكل نظرية أو علاقاتها بعضها بالبعض وتناول أهم مفاهيمها وفرضياتها وقواعدها للتفسير وكشف أجندتها البحثية.

٣- إن النظرية الواقعية تمتلك جذوراً فكرية وفلسفية في التاريخ حيث ترجع التقاليد الواقعية إلى اليونان، ولكن بروز الواقعية كنظرية للسياسة الخارجية وطرحها في المجال الأكاديمي ترتبط بالفكر السياسي الأمريكي في القرن العشرين.

٤- هيمنت النظرية الواقعية لعقود على مجال الدراسة النظرية للعلاقات الدولية، وذلك منذ تغلبها على أطروحات النظرية المثالية في بدايات القرن العشرين. وشهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية سيادة كاملة لفرضيات النظرية الواقعية.

٥- مع التحولات الكبيرة التي شهدتها السياسة الدولية حاولت الواقعية أن تجدد نفسها انطلاقا من فرضياتها الأساسية، فقدمت تفسيرات جديدة بخصوص الدراسات الأمنية وغيرها. فقد ساهمات الواقعية الهيكلية والواقعية الميركانتيلية والواقعية الدفاعية، والهجومية خير دليل على حيوية الفرضيات الواقعية بشأن واقع السياسية الدولية.

(٣) عبد الفتاح ولد حجاج (٢٠١٤)[٣]:

دراسة بعنوان: "العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي"

وقد تضمن موضوع الدراسة عرضاً لنشأة وتاريخ العلاقات الدولية في العصور القديمة والحديثة، كما أوضحت الدراسة المفاهيم العامة والمبادئ الأساسية للعلاقات الدولية والعوامل

(٣) حجاج، عبد الفتاح ولد، "العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي"، أطروحة دكتوراه، جامعة الحسن الأول، ٢٠١٤م.

المؤثرة فيها، كما بينت الدراسة ماهية العلاقات الدولية والقطبية، وعلاقاتها بالنظام العالمي في عدم القطبية، كما أوضحت الدراسة ماهية الأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي وعلاقته بالدولة من حيث نشأة الدولة وأركانها، وأشكالها بشرح مستفيض متمثلة في أجهزة الدولة المركزية والدولية مرتبطة بالمنظمات الدولية والإقليمية والقارية منتهية بالمنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسية.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي:

١- **إن العلاقات الدولية هي ظاهرة تاريخية، إذ لا يمكننا أن ننكر الدور الكبير الذي لعبته العلاقات الدولية في الحضارات القديمة، فالعلاقات الدولية هي اليوم نتيجة لتراكمات تاريخية ساهمت فيها كل الحضارات البشرية عبر التاريخ.**

٢- **إن العلاقات الدولية كباقي العلوم لها صلة بعلوم أخرى، كما أن لها مبادئ تحكمها وعوامل تؤثر فيها.**

٣- **إن العلاقات الدولية قد تأثرت بالأحداث التاريخية التي عرفها العالم أبرزها الحربان العالميتان، وظاهرة القطبية.**

٤- **إن حقل العلاقات الدولية هو حقل كبير وغني بالتفاعلات والتقلبات كما أنه يتميز بحركية مستمرة.**

ثامناً: تقسيم الدراسة:

فقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المفاهيم العامة للدراسة.

المبحث الثاني: النظريات الكلاسيكية والمعاصرة ومراحل تطورها.

المبحث الثالث: العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق.

المبحث الأول

المفاهيم العامة للدراسة

أولاً: مفهوم النظرية:

يعرف (Quincy Wright) النظرية العامة في العلاقات الدولية بأنها: "تعني وحدة من المعلومات الشاملة والواضحة والمتماسكة والذاتية التصحيح، تساعد على الفهم والتنبؤ والتقييم ومراقبة علاقات الدول والتعامل مع البيئة الدولية(٤).

كما عرفها (Stanley Hoffmann) بأنها: "مجموعة من الاقتراحات المترابطة ترابطاً منطقياً, قدمت خصيصاً لاختصار كمّ هائل من المعطيات"(٥).

وعرّفها (Chris Brown) "حين نفكر بعمق وبطريقة مجردة أثناء التنظير قد نطرح بعض الأسئلة التي لا نجد لها إجابات من دون ذلك التفكير وقد تتركز تلك الأسئلة حول "لماذا تحدث الأشياء" أو حول "ما الذي وجب أن نفعله" بمعنى الأدوات التي توصلنا إلى نتيجة معينة أو العمل المقبول أخلاقياً. نتوجه نحو النظرية إذاً حين تكون الإجابة على سؤال معين (يبدو هاماً بالنسبة إلينا) غامضة، وقد تكون الإجابة واضحة, لكنها في الحقيقة خاطئة إلى أن يحدث شيء يوجه انتباهنا إلى موطن الخطأ"(٦).

ويعرفها كل (Pfaltzgraff & Dougherty) أن لمصطلح النظرية في العلوم الاجتماعية وخاصة في العلاقات الدولية مفهوماً خاصاً ينحصر في أنه: "نظام استقرائي يؤدي إلى تقديم اقتراحات، وتقسيم تصنيفي يمكن من تنظيم المعلومات، ومجموعة مقترحات حول السلوك السياسي تنبع من الدراسات التاريخية المقارنة، وتطوير مجموعة من المواقف حول

---

(4) Quincy Wright, "Development of a General Theory of International Relations" in Horace Harrison, ed., The Role of Theory in International Relations. D. Van Nostrand Company, inc., Princeton, 1964, p. 45.

(5) Stanley Hoffmann, "Contemporary Theory of International Relations". Prentice-Hall, inc., New Jersey, 1960, p. 74.

(6) Chris Brown, "Understanding International Relations". Second edition. Palgrave, Hampshire, England, 2001, p. 78.

السلوك العقلاني المبني على عامل واحد مهيمن مثل القوة، ومجموعة من القيم التي ترسم شكل السلوك السياسي، ومجموعة مقترحات للعمل تقدم لرجال السياسة"[٧].

إذا ما أخذنا مفهوم النظرية في العلاقات الدولية كجزء من العلوم الاجتماعية فإنه بإمكاننا القول: إن هناك أنواعاً كثيرة من النظريات, و كل نظرية تنقسم إلى أنواع فرعية، كل هذه الأنواع تعود إلى الاختلافات الموجودة لدينا للإجابة على نفس السؤال: ماذا تعني الظاهرة؟ لماذا حدثت؟ ما هو واجبنا لمواجهتها؟ الاتفاق الموجود في العلوم الطبيعية بين الباحثين يغيب تماماً في العلوم الاجتماعية وهذا ما يفسر العدد الكبير للنظريات المتنافسة، لا واحدة منها مقنعة تماماً، ففي قضية الحرب – مثلاً - تركز بعض النظريات على شخصية الحكام أو على خصائص الأنظمة السياسية أو على خاصية الفوضى التي يتصف بها النظام الدولي، أي أنه يبدو أن كل نظرية تحاول تفسير بعض أبعاد الحرب فقط.

أ- وظائف النظرية:

النظرية هي مجهود منظم لطرح أسئلة من شأنها تمكين الباحث من تنظيم معرفته، من توجيه بحثه، ومن تفسير النتائج التي يتوصل إليها. فمن مهام النظرية إذاً مساعدة الباحث على تنظيم المعطيات التي يجمعها، والتعرف على العوامل والمتغيرات الأساسية لمجال البحث وتركيز اهتمامه وبحثه على القضايا الأهم. قد لا تقدم النظرية للباحث مفتاحاً لفهم معنى السياسة الدولية, لكن من مهامها أن تقوده إلى فهم منطقي للمعطيات.

كما تشير النظرية في نفس الوقت إلى أطر اصطلاحية هي بمثابة الأسئلة التي بمقدورها توجيه البحث، كما أنها بمثابة نظام من الفرضيات العملية وظيفتها الأساسية هي أيضاً توجيه البحث مثال: "نظرية النظم، نظريات اتخاذ القرار"، وأنها سلسلة طموحة من الاقتراحات المتشابكة،التي تسعى إلى شرح مجموعة من السلوكيات وفهم حقل البحث سواء جزئياً أو كلياً، وتأتي هذه الاقتراحات سواء من الفرضيات أو من الإجابات التي يتوصل إليها الباحث من خلال إطار معين[٨].

(7) James Dougherty & Robert Pfalzgaraff, “Contending Theories in International Relations”, 1987, p. 64.

(٨) عصام، محمد، "العلاقات الدولية شيء من النظرية وآخر من التطبيق"، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤٧.

ب- أنواع النظرية:

يرى (Stanley Hoffmann) أنه يمكن تقسيم أنواع النظرية إلى ثلاثة أنواع[٩]:

١- النظرية المعيارية أو القيمية: وتقوم على أسس أخلاقية مثل تلك التي أنتجتها الفلسفة السياسية ومنها نظرية إيمانويل كانط للسلم الدائم من خلال نظام فدرالي عالمي تشارك فيه كل الجمهوريات.

٢- النظرية التجريبية أو السببية: وهي تلك التي تحاول تحليل السلوك السياسي المعاصر ومعرفة المتغيرات الأساسية مثل نظرية ميزان القوة التي تم استعمالها لشرح العلاقات الدولية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

٣- النظرية كمجموعة تجريبية: تساهم هذه النظرية في فهم الحاجات التي تتطلع إليها اللحظة، المثال على ذلك البحوث حول الحرب النفسية أو الاستراتيجية العسكرية.

ويرى (Michael Sullivan) أنه من الضروري التفرقة بين عدة أنواع من النظريات[١٠]:

١- النظريات المعيارية: وهي تلك التي تحاول تحديد ما يجب أن يكون عليه الإنسان وما يجب أن تكون عليه الأشياء، وعادة ما يكون ذلك طبقاً لمعايير أخلاقية. فعلى الناس احترام قوانين معينة؛ لأن ذلك السلوك صحيح، فالنظام الديمقراطي هو أحسن نظام سياسي لأنه يفسح المجال أمام الاختيار الشخصي ويقف في وجه استبداد أقلية معينة، وعلى الدول أن تعتمد على نظام ميزان القوة لموازنة القوى الأخرى وذلك بهدف منع هيمنة دولة واحدة. فباعتمادها على مسلمات تعدّها معقولة تجريبياً فإن النظرية المعيارية رغم ذلك تقوم على وصف ما يجب أن يكون.

٢- النظريات الحدسية: وتعتمد على الإحساس العام حول قضية معينة. معظم الناس لهم نظرياتهم المفضلة حول أسباب الجريمة مثل كل سارق، ولكنهم لا يلجئون إلى التحقق من نظرياتهم الحدسية بالاحتكام إلى الواقع.

---

(9) Stanley Hoffmann, "Contemporary Theory of International Relations". Prentice-Hall, inc., New Jersey, 1960, op cit. p. 75.

(10) Michael Sullivan, "International Relations: Theories and Evidence". Prentice Hall, New Jersey, 1976, p. 35.

٣- **النظرية السببية: وهي تجريبية، وترى أن كل ظاهرة نتاج ظاهرة أخرى وبالتالي فإنها تسبب ظهورها. كل النظريات في الواقع سببية ولكن النظرية السببية التجريبية لا تكتفي بتقديم فكرة معينة بل تتعدى ذلك إلى التأكد من صحتها بمقارنتها بالواقع(١١).**

ثانياً: مفهوم العلاقات الدولية:

تُعرف العلاقات الدولية بأنها جمع علاقة من الفعل الماضي علق يعلق عُلوقاً، والعُلوق هو تدلي شيء من شيء أعلا منه، تقول: (علّقت الشيء إذا جعلته يتدلى من شيء هو أعلى منه)، وكل شيء التزم شيئاً فقد علق به، وعلى ذلك فالعلاقات هي صلات تتصل الأشياء بها بعضها مع بعض. أما الدولية فهي مؤنث دولي، والدولي نسبة إلى الدولة، والدولي من الفعل دول، ومصدره دولة بالضم، والفعل دول له معنيان: المعنى الأول: التحول من مكان لمكان آخر تقول: (أندال القوم) إذا تحولوا من مكان إلى مكان آخر، و(تداول القوم الشيء)، إذا انتقل بين أيديهم. أما المعنى الثاني: الضعف والاسترخاء تقول: (دالَ الثوبُ) إذا بليَ من طول الزمن وشدة الاستعمال، والدَولة بفتح الدال تطلق على المعركة، أو على من تكون له الغلبة فيها، الدولة في الحرب دولة فلان، أي الغلبة في الحرب له، وعلى ذلك فالدولة في اصطلاح اللغة هي القوة والسلطان والغلبة، أما الدولة في الاصطلاح القانوني هي ما تكون من مجموعة متجانسة من الأفراد تمارس نشاطها على إقليم جغرافي محدد وتخضع لتنظيم معين، فهي ما تكون من عناصر ثلاثة: الشعب والإقليم والسلطة(١٢).

أما التعريفات العصرية للعلاقات الدولية فقد عُرفت بأنها: "مجموعة العلاقات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية والقانونية والدبلوماسية ما بين الدول أو منظمات الدول ومابين الطبقات الأساسية والقوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحركات الشعبية التي تؤثر وموجودة على الساحة الدولية أي مجموعة العلاقات ما بين الشعوب بالمعنى العريض لهذه الكلمة"(١٣).

---

(11) Ibid, p. 36.

(١٢) ملاح، السعيد، "تأثير الأزمة الداخلية على السياسة الخارجية الجزائرية"، رسالة ماجستير، قسم العلاقات الدولية، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٥م، ص٢٥.

(١٣) غضبان، مبروك، "المدخل للعلاقات الدولية"، ورقة بحثية مقدمة لاستكمال درجة الماجستير، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، الجزائر، ٢٠٠٤م، ص٣٥.

وقد عرف (John Baylis) العلاقات الدولية بأنها:" علم يهتم بالملاحظة والتحليل والتنظيم من أجل التفسير والتنبؤ"(١٤).

ويعرفها (Charles Boasson) بأنها: "دراسة التفاعلات بين أنواع معينة بين الكيانات الاجتماعية بما في ذلك دراسة الظروف الملائمة المحيطة بالتفاعلات"(١٥).

أما (Quincy Wright) فيعرفها بأنها: "علاقات شاملة تشمل مختلف الجماعات سواء علاقات رسمية أم غير رسمية"(١٦).

ويعرفها (Kenneth Waltz) بأنها: "كل التدفقات التي تعبر الحدود أو حتى تتطلع نحو عبورها هي تدفقات يمكن وصفها بأنها بين المجموعات العامة أو الخاصة التي تقع على جانبي الحدود لتشتمل الأنشطة التقليدية (الدبلوماسية، المفاوضات، الحرب)"(١٧).

ويرى الباحث أنه وعلى الرغم من عدم وجود تعريف جامع وشامل للعلاقات الدولية يتفق حوله جميع الباحثين والمختصين فإنّ الإطلاع عل التعريفات السابقة يوضح لنا أنهاّ: "ظاهرة واسعة من المبادلات المتداخلة التي تجري عبر الحدود الوطنية، وأنها لا تشتمل على الرسمية بين الدول فقط، وإنما تشتمل على غير الرسمية"، وحينما نتحدث عن العلاقات الدولية فإننا غالباً ما نقصد بين الدول، ولكن هي انعكاس لعدد كثير من الاتصالات بين الأفراد ونشاطات المنظمات والمؤسسات الثقافية.

---

(14) John Baylis & Steve Smith, "The Globalization of World politics: an Introduction to International relations". Third edition. Oxford University Press, Oxford، UK, 2005, p. 75.

(15) Charles Boasson, "Approaches to the Study of International Relations". Van Gorcum & Comp., Netherlands, 1972, p. 33.

(16) Quincy Wright, "Development of a General Theory of International Relations", op cit, p. 46.

(17) Kenneth Waltz, "Theory of International politics". Addison-Wesley Publishing Company, Reading, Massachusetts, 1979, p.47.

المبحث الثاني

النظريات الكلاسيكية والمعاصرة في العلاقات الدولية

ومراحل تطورها

أولاً: الجذور التاريخية للنظرية الواقعية:

لقد كانت بداية ظهور النظرية الواقعية في العلاقات الدولية في القرن الخامس قبل الميلاد باليونان حيث قام الفيلسوف اليوناني (ثوسيديدس) بوضع الأسس العامة لها، وذلك يرجع إلى خلفية خبرته بحرب البولينيز، حيث رأى أن السبب الرئيس للحروب القائمة آنذاك هو قوة أثينا والخوف من أسبرطة، إلى أن جاءت فكرة الدولة بداية عند الإمبراطورية الرومانية المسيحية حيث وجد نوع من الوحدة المدنية في أوروبا فيما بين (١٥٠٠-١٨٠٠م)، وفى عصر النهضة ظهرت الواقعية بصورة واضحة في أفكار ميكيافيللي الذي أكد على مبادئ (ثوسيديدس)، ومن ثم انطلقت الرؤية إلى ما هو كائن بالفعل وليس ما ينبغي أن يكون. ثم تعددت الكتابات التي تدعم فكرة الواقعية ومن بين تلك الكتابات ركز (توماس هوبز) على الطبيعة الأنانية والعدوانية للإنسان من خلال مقولاته "حرب الجميع ضد الجميع"، وعلى الرغم من الجذور الفلسفية التي ورثتها النظرية الواقعية من التاريخ الأوروبي في مختلف عصوره إلا أن الواقعية انطلقت في الولايات المتحدة الأمريكية كرؤية جديدة ومن ثم كنظرية منافسة للمثالية وصولاً إلى هيمنتها على العلاقات الدولية، ومن ناحية أخرى نشأت البراجماتية من تربة رأسمالية ناهضة على أخلاقيات مبنية على أساس التنافس والصراع وتعددت المبررات التي أتاحتها نظرية التطور في صياغة الفلسفة المسماة بالدورانية الاجتماعية لتكوين فكر وفلسفة أمريكية متميزة(١٨).

لقد عرف نظام العلاقات الدولية مع نهاية الحرب العالمية الأولى بسيطرة المرحلة المثالية، ولقد كان خير مثال على سيطرة المثالية على العلاقات الدولية فكرة ويلسون الذي رأى أن الصراع يبين عدم فائدة الحرب لأنه في النهاية لا يستطيع الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة والتي تمثلت بصورة رئيسية في محاولة كسب للأراضي, لهذا قام الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون بوضع أربعة عشر مبدأ كأساس للسلام التالي، وأنه فضلاً عن تلك المبادئ التي وُضعت،

(١٨) المسيري، عبد الوهاب، "دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة"، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٦.

كان التيار المثالي ينتقد المشاعر السيئة التي كانت سائدة بين الدول وخاصة أن القادة لا يقدمون ما يكفي من إيضاحات للجماهير ولاسيما أنها المتألم الوحيد من الحرب. ولهذا كان يرى التيار المثالي أن التوترات الكامنة يمكن إزالتها بإقامة ديمقراطيات برلمانية لأن الصراعات هي خيار النخبة والأوتوقراطيين وكان يسعى دائماً إلى الوصول إلى غاية تتمثل في السعي إلى تحقيق رفاهية البشرية، وأن هنالك مجموعة من العوامل التي أسهمت في ظهور الواقعية وتتمثل في نشوب الحرب العالمية الثانية، ووجود حالة من الاختلاف والتضارب في المصالح، ودخول الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في سباق تسلح، وهذا يعنى أن بعد الحرب العالمية الثانية حدث تحويل في التفكير الدولي من المثالية إلى العقلانية، أي من القانون والتنظيم، إلى عنصر القوة في العلاقات الدولية، فأصبح التركيز على ضرورة الأخذ بالدروس المستفادة في التاريخ لتدعيم وجهة نظرهم وعدم إعطاء دور بارز للرأي العام لعدم قدرته على تحقيق السلام العالمي، فسيطرت النظرية الواقعية كمنهج في العلاقات الدولية بوضوح في الولايات المتحدة خلال (١٩٤٠-١٩٥٠م)[١٩].

ثانياً: مراحل تطور النظرية الواقعية:

ظهرت الواقعية على مسار تطوري أدى إلى ظهور العديد من الاتجاهات داخل المنظور الواقعي، فالبداية الفعلية لظهور الواقعية كانت مع إسهامات (Morgenthau) فيما عرفت بالواقعية التقليدية، ثم عدلت الواقعية التقليدية لاحقاً نتيجة تحولات عرفتها بنية البيئة الدولية، وأضيفت إليها قطع نظرية جديدة طورتها في شكل الواقعية الجديدة البنيوية مع (Kenneth Waltz) وإحدى الإسهامات المهمة داخل المنظور الواقعي تمثلت في ظهور التوجهين الهجومي-الدفاعي في إطار ما عرفت بالواقعية النيوكلاسيكية[٢٠].

حاولت الواقعية على اختلاف مسمياتها، تقديم تفسيرات مقبولة لما يحدث في العلاقات الدولية، ونقطة الاشتراك بينهم هي القول بتأثير معطيات البيئة الدولية على سلوكات الفواعل الخارجية، غير أن ما يمكن ملاحظته فيما يتعلق بمواقفهم حول طبيعة الفصل ما بين السياسة الداخلية والخارجية هو اختلاف حدة هذا الفصل، بحيث نجده صلباً مطلقاً عند أنصار الواقعية التقليدية وكذلك الجديدة البنيوية مع (Kenneth Waltz) في حين يذهب أنصار

(١٩) المرجع السابق نفسه، ص٤٨.

(٢٠) عامر، مصباح، "الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية"، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص٥٦.

الواقعية النيوكلاسيكية إلى تخفيف حدة هذا الفصل، والقول بتأثير المحددات الداخلية للدولة وأهميتها في فهم السلوك الخارجي إلى جانب المحددات الخارجية[٢١].

أولاً: الواقعية الكلاسيكية:

ظهرت الواقعية في البداية من خلال شكلها التقليدي مع إسهامات (Hans Morgenthau)، (Carr، Niebuhr)، وغيرهم من المفكرين الواقعيين الأوائل الذين حاولوا التكيف بفكرهم مع أحداث القرن العشرين التي صاحبتها الكثير من مظاهر الاضطراب وعدم الأمن وتفاقم حدة الصراعات والحروب، فجاءت كتاباتهم لتعبر عن ذلك وقد هيمن هذا المنظور على حقل العلاقات الدولية خلال فترة الحرب الباردة، وتفترض الواقعية أن الشؤون الدولية عبارة عن صراع من أجل القوة بين دول تسعى لتعزيز مصالحها بشكل منفرد، وللواقعية الكلاسيكية مرتكزات يمكن إيضاح أهمها في الآتي[٢٢]:

- استقيت الرؤى الواقعية من الكتابات القديمة لمفكرين مثل: سان تسو، ثوسيديديس، وهوبز.
- الواقعية صراع من أجل القوة في العلاقات الدولية لأنه لا وجود لقوة فوقية.
- تعتبر الدول، من المنظور الواقعي، أهم الفاعلين على الإطلاق.
- تحتاج الدول للأمن (القومي) لحماية مصالحها الوطنية ويدخل ضمن هذا الإطار سعيها لاكتساب القوة.
- الدول فواعل عقلانيون يسعون لتعظيم الفوائد وتقليص التكاليف المتلازمة مع سعيها لتحقيق أهدافها.

فمنهج التحليل الذي اعتمده مورجنتو (Morgenthau)ينظر إلى عملية صنع السياسة الخارجية على أنها عملية ترشيدية عقلانية، بمعنى أنها لا تخرج عن كونها عملية توفيق بين الوسائل المتاحة وبين الأهداف التي هي ثابتة[٢٣]، لذا فكل سياسة خارجية هي عقلانية لأنها؛ تسعى دائماً لتعظيم القوة والمصلحة الوطنية، وحينما يتم الاعتماد على مفهوم "المصلحة القومية" القائل بأن تحقيق المصلحة القومية للدولة هو الهدف النهائي المستمر لسياستها

---

(٢١) عامر، مصباح، "الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية"، مرجع سابق، ٢٠٠٦م، ص٥٧.

(٢٢) يخلف، عبد السلام، "محاضرة: التبويب النظري للعلاقات الدولية عند (ستيفن وولت)"، قسم العلوم السياسية، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٤م، ص٧٥.

(23) Charles Kegley and Eguene R. Wittlkopf, "World Politics Trend and Transformation", New York: Worth Publishers 10 Th ed, 2006, p. 34.

الخارجية، فإن السياسة القومية تكون هي محور الارتكاز، أو القوة الرئيسة المحركة للسياسة الخارجية لأي دولة من الدول، مما يضمن عدداً من المزايا تتمثل في اعتمادنا على مفهوم "المصلحة القومية"، وإن مفهوم "المصلحة القومية" يوضح جانب الاستمرار في السياسات الخارجية للدول، رغم التبديل الذي يلحق بالزعامات السياسية، أو التحول الذي يصيب نمط الإيديولوجيات المسيطرة، أو نماذج القيم السياسية والاجتماعية السائدة، فالتحليل الواقعي للظاهرة الدولية لا يعتمد مستوى التحليل الداخلي بما فيه العوامل المجتمعية والعوامل الثقافية السائدة داخل المجتمع، فهي تحاول إعطاءنا تفسير لسلوك الدولة داخل النسق أو المسار الدولي والسياسة الدولية، وليس اعتماد سلوكاتها كوحدة منفردة، فالواقعية تفضل التعامل مع سلوكيات الفواعل والوحدات على أنها نتاج تفاعلات خارجية نابعة من طبيعة السياسة الدولية ونمط التفاعل وشكل العلاقات فيها، وهي بذلك تنطلق من مبدأ التكافؤ والتشابه في السياسات الخارجية لبعض الدول المتقاربة أو حتى المتشابهة من حيث مكانتها في النظام الدولي رغم الاختلاف الكبير والتباين في المكونات الداخلية لهذه الدول، وهذا ما لا يترك مجالاً أمام التفسيرات الجزئية أو الداخلية[٢٤].

ثانياً: الواقعية البنيوية الجديدة:

انتقدت أطروحات الواقعية التقليدية، بسبب منهجيتها السلوكية، التي تمحورت حول سلوك الدولة –العنصر الأساسي في تقديرها- في السياسة الدولية، وأخفقت في استيعاب الواقع الحقيقي على أنه نظام له بنيته أو كيانه المميز، وبالغت في تفسيرها للمصلحة، ومفهوم القوة، وأغفلت سلوك المؤسسات الدولية، وأطر علاقاتها الاعتمادية في جوانبها الاقتصادية، وبغية تكييف الواقعية التقليدية مع التطورات في السياسة الدولية[٢٥].

لم تختلف الواقعية في شكلها الجديد عن الواقعية التقليدية في خصوص اعتبار العوامل النابعة من البيئة الخارجية كمحدد رئيس للسلوك الخارجي للدول، وذلك انطلاقا من الأساس الذي يؤكد ندرة الأمن و فوضوية النظام الدولي، ومن هذا المنطلق فإن جل اهتمام الوحدات السياسية هي كيفية الحفاظ على وجودها.

---

(24) Charles Kegley and Eguene R. Wittlkopf, "World Politics Trend and Transformation", New York: Worth Publishers 10 Th ed, 2006, op cit. p. 36.

(٢٥) صدقي، السيد، "تحليل العلاقات الدولية من منظور بنائي"، مجلة النهضة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٣.

وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص أهم مبادئ ومرتكزات الواقعية الجديدة في تفسيرها النسقي للسلوك الخارجي للدول، من خلال النقاط التالية[٢٦]:

- الدولة كفاعل أساسي وحدوي وعقلاني: فالدولة هي الفاعل الأساسي في السياسة الدولية بسبب امتلاكها لوسائل العنف المنظم. خاصة وأن الدول تتجه إلى فهم بيئتها الدولية وليس الداخلية.
- الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي هي التي تحدد سلوك الفواعل: تنطلق الواقعية الجديدة من القول بأن بنية النظام الفوضوية تفرض على الدول داخل النظام الدول نمط السلوك المتبع في بيئة المساعدة الذاتية واللا أمن، والدول في هذه الوضعية تكون مبرمجة للعب دور محدد, تمليه إملاءات ترتيبها في سلم القوى الدولي، والتي تظل الدول فيها عاجزة على الثقة في الدول الأخرى، ويبقى هدفها الرئيس ليس زيادة القوة كما اعتقد الواقعيون التقليديون، بل العمل على حفظ البقاء أو المحافظة على الذات.
- العوامل الداخلية ليست عاملاً مهماً في السياسة الدولية: يتمسك الواقعيون الجدد بطرح صلب جداً بخصوص فصل السياسة الداخلية عن الخارجية ونفي أية علاقة بينهما.

ثالثاً: الواقعية التقليدية الجديدة:

للواقعية التقليدية الجديدة أهمية تكمن في العوامل الداخلية في تفسير السياسة الخارجية, وذلك بعد النفي التام لتدخل العوامل الداخلية في تفسير السلوك الخارجي، حاولت "الواقعية التقليدية الجديدة" تخفيف حدة الفصل بين البيئتين الداخلية والخارجية، بحيث قدمت مواقف وصفت بالمعتدلة. لتشكّل بذلك مبادرة إيجابية لإعادة النظر في مستويات التحليل المعتمدة في تفسير السلوك الخارجي وإعطاء أهمية للمحددات الداخلية إلى جانب المحددات النسقية، وتنقسم الواقعية النيوكلاسيكية بدورها إلى ما يعرف بالواقعية الدفاعية والواقعية الهجومية. فكلاهما يعترف و يقر بدور وتأثير البنية الداخلية وإدراكات صانع القرار على توجهات وأهداف السياسة الخارجية، غير أن هذا لا يمنع من وجود فوارق بينهما، وسوف يتم إيضاحها على النحو التالي[٢٧]:

---

(٢٦) صدقي، السيد، "تحليل العلاقات الدولية من منظور بنائي"، مرجع سابق، ١٩٩٩م، ص٢٥.

(٢٧) المرجع السابق نفسه، ص٥٣.

أ- الواقعية الدفاعية:

تفترض الواقعية الدفاعية أن فوضوية النسق الدولي أقل خطورة، وبأن الأمن متوفر أكثر من كونه مفقوداً، وهي بهذا تقدم تنازلاً نظرياً بتقليصها للحوافز النسقية الدولية، وجعلها لا تتحكم في سلوكات جميع الدول، إنها بدأت تقر بوجود سياسات خارجية متميزة، وبالتالي الاعتراف بالآثار الضئيلة للبنيات الداخلية على السلوك الخارجي، فعندما تكون القدرات الدفاعية أكثر تيسراً من القدرات الهجومية فإنه يسود الأمن وتزول حوافز النزعة التوسعية. وعندما تسود النزعة الدفاعية، ستتمكن الدول من التمييز بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة ذات الطابع الهجومي، آنئذ يمكن للدول امتلاك الوسائل الكفيلة بالدفاع عن نفسها دون تهديد الآخرين، وهي بذلك تقلص من آثار الطابع الفوضوي للساحة الدولية، وبالتالي تخفف من حدة تأثير هذه البنية الفوضوية على سلوكات الفواعل. فالقادة السياسيون لا يحاولون وضع دبلوماسية عنيفة وإستراتيجية هجومية إلا في حالة الإحساس بالخطر، وبالتالي في غياب الأخطار الخارجية، الدول ليس لها دوافع آلية إلى إتباع هذه السياسات العنيفة، وعليه فقد طورت الواقعية الدفاعية فرضياتها لتبين من خلالها أثر البنيات الداخلية للدولة في تحديد طبيعة التوجه الخارجي للدول، ففي حالة وجود خطر خارجي، الدولة تجند مجموع القدرات العسكرية، الاقتصادية والبشرية، وإدراك هذا الخطر مرتبط بذاتية القادة السياسيين، الذين يحدون من الوسائل المستعملة إلى الدفاع عن المصالح الحيوية فقط، وأكبر مصلحة حيوية هي الأمن؛ إذ يبدو واضحاً أن الحديث عن إدراكات صناع القرار، طرح جديد للواقعية الدفاعية، على عكس ما تم تداوله سابقاً لدى الواقعية البنيوية لوالتز، فتوزيع القوى والتحولات الدولية مرتبط أساساً بإدراكات القادة الوطنيين، ويؤكدون ذلك انطلاقاً من تشبيهات تاريخية وأخرى إدراكية، فدور إدراك الأخطار عند القادة السياسيين هو المؤدي إلى الاستقرار المنتظر حسب الواقعية الدفاعية(٢٨).

وقد أتت الواقعية الدفاعية بمصطلح "الواقعية التعاونية" والمؤكد على فوضى ناضجة عوض عن فوضى مطلقة، وهذا من أجل تفادي الحرب بوضع سياسات مشتركة لذلك، ومع تراجع حالة الفوضى في النظام الدولي، سيتراجع بذلك أهم محدد لتفسير السلوك الخارجي بالنسبة لواقعية والتز ونتجه أكثر فأكثر لإثبات دور المحددات الداخلية في تفسير السلوك الخارجي لإدراك صانع القرار للبيئة الخارجية.

---

(٢٨) تقرير: "القوة الثابتة للواقعية بعد الحرب الباردة"، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٦م، ص١٣.

ب- الواقعية الهجومية:

ظهرت الواقعية الهجومية كرد فعل للواقعية الدفاعية، حيث انتقدتها حول المرتكز الأساسي لها في أن الدولة وفي إطار الفوضى الدولية تبحث فقط عن أمنها، حيث ترى عكس ذلك بأن الفوضى تفرض باستمرار على الدول تعظيم وزيادة القوة، لذا يعتقدون بتزايد احتمالات الحرب بين الدول كلما كانت لدى بعضها القدرة على غزو دولة أخرى بسهولة، وبالتالي استمرار حالة الفوضى المطلقة. غير أن ما يميز هذا الطرح عن واقعية والتز هو عدم الإقرار بأن تفسير السياسات الخارجية والمخرجات الدولية لمختلف الدول يكون مبنياً على فكرة الفوضى، وهذا ما ترفضه الواقعية الهجومية كعامل واحد، وأن التركيز على السياسة الخارجية للدول يجب أن يضم المتغيرات الداخلية والنسقية والتأثيرات الأخرى مخصصة و محددة مظاهر السياسة الدولية التي يمكن تفسيرها بهذه المتغيرات، وقد شكّلت هذه المواقف الجديدة بالنسبة للواقعية الكلاسيكية الجديدة، تحولاً عميقاً لدى المدرسة الواقعية فيما يتعلق بالحدود الفاصلة بين ما هو داخلي وما هو خارجي. لتفتح المجال أمام ضرورة إعادة النظر حول تأثير المحددات الداخلية في توجيه السياسة الخارجية، وإزالة ذلك الفصل الصلب بينهما. بالإضافة لهذا فقد شكلت التطورات الجديدة على مستوى التفاعلات الدولية والتطور العلمي الذي عرفته الدول بداخلها، كذلك زيادة الاهتمام الشعبي والرأي العام بقضايا العلاقات الدولية، وزيادة عدد الدول المستقلة، حيث أدى تنوع هذه الدول الجديدة واختلاف تركيبتها وبالتالي سلوكياتها إلى فتح مجال الاهتمام لدرس ومراقبة علاقاتها ببعضها البعض وفق مقاربات جديدة قادرة على استيعاب مختلف المتغيرات المؤثرة في السياسة الخارجية خارج إطار المتغيرات النسقية. ونتيجة لهذه المستجدات لم تعد العلاقات بين الدول، وبالتالي التأثير المتبادل حكراً على المستوى الحكومي، بل تعدّى ذلك ليشمل العلاقات والتأثير المتبادل على المستوى المجتمعي ولو بدرجات متفاوتة, حسب بنية الدول المعنية. ساهم هذا كله في زيادة الاهتمام الشعبي بالعلاقات الدولية وبالتالي السياسة الخارجية بعد أن كانت وقفاً من حيث الاهتمام على قطاعات معينة نخبوية في كل دولة[٢٩].

رابعاً: النظرية المثالية (المدرسة السلوكية):

لقد جاء ظهور النظرية المثالية في ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ونهايتها سنة ١٩١٧ وما عرفه العالم من خراب ودمار بعدها، وعبرت هذه النظرية عن رؤية

(٢٩) فرج، نورة، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠م، ص٢٥.

تفاؤلية وعن قدرتها على حل النزاعات السياسية بشكل سلمي، وعدّت حلاً بديلاً ينتهجه صناع القرار وتجلت إنجازاتها في إنشاء عصبة الأمم، وقد جاءت هذه النظرية لدراسة عامل القوة من خلال الحروب والنزاعات وإضفاء الشرعية على التدخلات غير القانونية التي حصلت أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ولم تستطع عصبة الأمم إيجاد حل لها، وقد ظهرت المدرسة السلوكية خلال الخمسينيات من القرن العشرين وهدفت كذلك لمعالجة الظواهر الدولية من خلال سلوك الأفراد والجماعات معنية بصناع القرار وقد تبلورت في الستينيات من القرن الماضي.

وتمتد جذور هذه النظرية لفترات سابقة في سيادة المنهجية التقليدية التاريخية الفلسفية القانونية المؤسسية منذ أواخر القرن العشرين وأوائل القرن التاسع عشر فهي تمثل النموذج التجريبي في مقابل النموذج الميتافيزيقي الذي تمثل البواكير الأولى للاهتمام بالسلوك والتفاعل السياسي بدلاً من التركيز الشديد على الوثائق والدساتير والنظم والمؤسسات، بل إن هناك من يرى أنه منذ الثورة الأمريكية ١٧٧٦ والثورة الفرنسية ١٧٨٩ هناك توجهان أساسيان في دراسة التحول الذي حدث في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وأثر الثورة الصناعية و ظهور الدولة القومية الحديثة، هذان التوجهان أفرزا مدرستين في حقل السياسة المقارنة أولاهما ركزت على مواجهة تحدي بناء الدولة والثانية ركزت على الحراك الاجتماعي وظهور النخب(٣٠).

وكان من أهم الأسباب التي أدت لظهور المدرسة السلوكية ما يلي(٣١):

١- منذ أوائل القرن العشرين رغبت المدرسة الوضعية بالارتقاء بالعلوم الاجتماعية إلى حال العلوم الطبيعية من حيث الدقة المنهجية والحياد ومع ولادة علم النفس وعلم الاجتماع في نهاية القرن التاسع عشر بدأت أولى مراحل المدرسة السلوكية التي بدأت في صورتها الدولية والكلاسيكية مع نشر مقالة عالم النفس جون واتسون سنة ١٩١٣ وبدأت تحل النظرة السلوكية كنموذج معرفي في علم النفس محل النماذج السابقة وأصبحت مبادئ المنهج السلوكي مثل القانون المنهجي لكل العلوم الاجتماعية.

٢- بانتهاء الحرب العالمية الأولى والفشل الذي أصاب العديد من الدول الأوربية وانتشار النظم السياسية الفاشية والدكتاتورية لعدم جدوى المقتربات التقليدية وعدم فاعليتها في فهم الواقع وتفسيره، فاتجه العديد من الباحثين الأوروبيين إلى التوجهات النفسية وفي نفس

---

(٣٠) المرجع السابق نفسه، ص٢٦.

(٣١) زهدي، سوسن، "دراسة في النظريات في العلاقات الدولية ... هل النظرية مفتاح لفهم الأحداث الدولية؟"، الأردن العربي، ٢٠١٠م، ص٥٤.

الوقت كان هناك إدراك متزايد لدى الأمريكيين بضرورة تبني الاقترابات السلوكية في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية, خصوصاً من قبل الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية وكان يرأسها تشارلز مريام الذي دعا إلى تأسيس مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية(٣٢).

وقد نشأت في رحم هذه النظرية ما سمي بالمدرسة ما بعد السلوكية، والتي عُدّت أداة نقد للسلوكيين محاولة كشف ثغراتها وتجاوز أفكار السلوكيين، وقد ورد بعد ذلك مصطلح نهاية التاريخ بعد إصدار الكاتب والأستاذ الجامعي فرانسيس فوكوياما كتابه سنة ١٩٨٩، وقد جاء هذا الكتاب وسط اضطرابات سياسية على مستوى النظام الدولي بعد انهيار النظام الاشتراكي، وفرض الولايات المتحدة الأمريكية زعامتها على العالم في إطار نظام عدّه فوكوياما ليبرالياً ديمقراطياً واندحار المعسكر الشرقي الاشتراكي، وقد حظيت هذه النظرية باهتمام دولي كبير بفعل غياب مجموعة أسس تتحكم في تحليل الشأن الدولي وأصبح العالم بذلك يعيش في عصر الإنهاك الفعلي، جراء التشويش على الفكر الاستراتيجي والنقص على المستوى التنظيري، حيث عدم قدرة النظريات الكلاسيكية على مواكبة التحولات والتطورات السريعة التي يشهدها العالم ثم ميل التفكير الاستراتيجي الأمريكي إلى مرتكزات فلسفية تخرجه من البراغماتية والواقعية من خلال تقديم رؤية شاملة لأوضاع العالم الجديد في ظل هيمنة أمريكية على العالم، وكانت النظرية تبشر بالليبرالية ونهاية التطور التاريخي والصراع الإيديولوجي(٣٣).

وقد ظهرت في أعقابها فكرة صدام الحضارات التي كان لها صدى قوي حيث فتحت سجالات ونقاشات عديدة بعد نشرها صيف ١٩٩٣ في أنحاء عديدة من العالم، واستقطبت هذه النظرية اهتماماً متزايداً عند الباحثين من خلال مجموعة من الحوارات والندوات التي حاولت بناء نظرة تنبؤية للسياسات الدولية لما بعد الحرب الباردة. وعكس هذا الاتجاه بوضوح دوائر التفكير الأمريكي والغربي عامة، وتم تشبيهها بمقالة جورج كينان سنة ١٩٤٩ حول "مصادر السلوك السوفييتي" وما سمي "سياسة الاحتواء."

وترتكز المدرسة المثالية على الأخلاق التي تميز الطبيعة الإنسانية، كما تبشر هذه النظرية بالسلام العالمي واحترام الرأي العالمي ودور القانون الدولي العام في ضبط العلاقات بين الدول.ويؤكد المثاليون على وجود مصالح مشتركة متبادلة بين الدول، في إطار علاقات اعتماد

---

(٣٢) المرجع السابق نفسه، ص٥٦.

(٣٣) محمود، نادية محمود، "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد"، مرجع سابق، ١٩٨٥م، ص٧٩.

متبادل تجعل المجتمع وحدة اجتماعية. ويرى أنصار هذه النظرية أن المجتمع الدولي يفترض فيه أن يكون منظماً بعد انتقال الإنسان إلى طور الاستقرار، وينطلق المثاليون من أولوية الأخلاق في علاقات الأفراد في المجتمع سواء داخلياً أو دولياً حيث خضوع الفرد للقوانين التي تضعها الجماعة وفي الوقت ذاته يجب على الفرد العمل لصالح الجماعة كما يعمل لذاته. ويعدّ المثاليون أن الدول يجب عليها أن تكون منسجمة واعتبار ما خالف ذلك غير أخلاقي؛ وذلك لبناء عالم خالٍ من النزاعات من خلال التفاؤل حول الطبيعة البشرية وانسجام المصالح بين الأفراد في علاقاتهم وبين الدول، ونجد تيارين في المنهج المثالي يدافعان عن فكرة النظام, حيث يدعو الأول إلى فكرة سيادة الدول من خلال مجتمع دول مستقلة ذات سيادة متطابقة تخضع للقانون الدولي، ويؤكد التيار الثاني ضرورة التوافق على مجتمع أمم على خلاف التيار الأول، وقد تم تفعيل هذه الأفكار من خلال عصبة الأمم, التي عملت على منع قيام الحرب, بناء عالم خال من النزاعات والأزمات بهدف خدمة الإنسانية، وازدياد الشعور الشعبي بما تخلفه الحرب من آثار سلبية وخسائر على مستوى الأرواح والأموال، وقد عملت العصبة كذلك على الحد من انتشار الأسلحة وتسوية النزاعات عبر إجراء المفاوضات[٣٤].

(٣٤) المرجع السابق نفسه، ص٨١.

المبحث الثالث

العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق

أولاً: علم العلاقات الدولية:

يُعد علم العلاقات الدولية علماً مستقلاً يهتم بدراسة الظواهر المعاصرة التي ظهرت على الساحة الدولية وخصوصاً بالولايات المتحدة الأمريكية وبعد الحرب العالمية الثانية بأوروبا. كما تهتم العلاقات الدولية بما هو كائن وترتبط مع العلوم الاجتماعية وعلم السياسة في علاقة تأثر متبادل، كما تتأثر بإيديولوجية صاحبها-الماركسية والليبرالية وتشرح بشكل العلاقات بين الدول بطرق عديدة وباختلاف نظرة المحللين السياسيين لظاهرة ما داخل المجتمع الدولي. ويتميز علم العلاقات الدولية بحداثة نشأته واتساع مجالات دراسته وبعلاقاته مع باقي العلوم على مختلف التخصصات، وتقيم الدول فيما بينها علاقات متنوعة ومختلفة قد تكون تلك العلاقات إما علاقات تعاونية أو علاقات صراعية لذا جاء علم العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى من أجل فهم الظواهر الدولية المختلفة والعمل على إلقاء الضوء على الأسباب والعوامل المحددة التي تسهم في تطور تلك الظواهر، ومن ثم ظهرت العديد من نظريات العلاقات الدولية كعامل رئيس, يسهم في دراسة العلاقات الدولية حيث إن نظريات العلاقات الدولية تهتم بمجمل الأحداث وليس الأحداث الخاصة, ولقد تعددت نظريات العلاقات الدولية التي تحاول كل منها أن تقدم تفسيراً للعلاقات الدولية، فكل منها تتناول النظام الدولي وأطرافه والعوامل المؤثرة عليه كذلك تتناول علاقات السلم والحرب بين الدول والعلاقات الدبلوماسية فيما بين الدول وبعضها البعض[٣٥].

ولقد اتخذت تلك النظرية من الدولة أداة للتحليل في تفسير كافة الظواهر الدولية المختلفة حيث مثلت الدولة وحدة التحليل الأساسية في الفكر الواقعي كما أكدت تلك النظرية على أن سلوك الدولة يجب أن ينطلق من افتراض أنّ الفوضوية هي السلطة الأساسية للنظام الدولي وأن سلوك الدولة يمثل نوعاً من الاستجابة للفرص والقيود التي يقدمها النظام الدولي الفوضوي. ثم أخذت تتطور في عقد التسعينيات من القرن العشرين وبداية مطلع القرن الواحد والعشرين بظهور تيار الواقعيين الجدد، ومن ثم اكتسبت المدرسة الواقعية في السياسة الدولية شهرتها بعد الحرب

(٣٥) نصر، محمد نصر، "مدخل إلى علم العلاقات الدولية في عالم متغير"، المكتبة الجامعية بالإسكندرية، القاهرة، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٥٣.

العالمية الثانية, وبدأت بفرض وتسليط نظرة تشاؤمية في العلاقات الدولية بحيث عكست صورة واقعية للعلاقات بين الدول, صورة واقعية في العلاقات بين دول كبيرة ودول صغيرة، بين دول متطورة ونامية وبالتالي بين الغالب والمغلوب كنتيجة للحرب العالمية الثانية(٣٦).

كما تفترض الواقعية أن الشؤون الدولية عبارة عن صراع من أجل القوة بين دول تسعى لتعزيز مصالحها بشكل منفرد، وهذا ما يؤكد النظرة التشاؤمية والتأكيد على النزاعات والحروب والتحالفات، والإمبريالية وغيرها من الظواهر الدولية, فضلاً عن أن تركيزها على النزعة التنافسية في العلاقات الدولية، وبالتالي فإن ظهور النظرية الواقعية أكد على فشل المثالية التي تعتمد على القانون الدولي والمنظمات الدولية وحل الصراعات وتحقيق السلام والرخاء حيث إن الواقعية أكدت على ضرورة تأمين الدولة لنفسها ضد أي عدوان خارجي. لذا فقد اعتمدت الواقعية التقليدية على العديد من الافتراضات كأساس يمكن الاستناد إليه من أجل فهم مختلف الظواهر المعقدة في السياسة الدولية بما فيها ظاهرة السياسة الدولية(٣٧).

ثانياً: افتراضات النظرية الواقعية كتطبيق عملي في العلاقات الدولية:

للنظرية الواقعية افتراضات يمكن الأخذ بها كتطبيق عملي على الساحة الدولية والسياسية للعلاقات بين الدول، ومن أهم تلك الافتراضات ما يلي(٣٨):

- الدولة هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، وهى وحدة التحليل الأساسية.
- النظر للدولة كوحدة واحدة على الرغم من أن متخذي القرارات في السياسة الخارجية لدولة ما هم في الواقع أشخاص متعددين (رئيس الدولة، أو وزير الخارجية) إلا أن الدولة تتعامل مع العالم الخارجي بصفتها كيان واحد متماسك
- التحالفات بين الدول من الممكن أن تزيد من قدرة الدولة فى الدفاع على عن نفسها ولكن يجب ألا يكون هناك اعتماد متبادل أو ولاء بين الدول المتحالفة.
- ترى الواقعية أن الطبيعة البشرية ثابتة أو على الأقل يصعب تغيرها بصعوبة.

---

(٣٦) المرجع السابق نفسه ،ص٥٥.

(٣٧) توفيق، سعد حقي، "مبادئ العلاقات الدولية"، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٦م، ص٦٣.

(٣٨) عودة، جهاد، "النظام الدولي- نظريات وإشكاليات"، دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣٧.

- **الموقع الجغرافي للدولة يؤثر في إمكانياتها وفى توجهاتها السياسية الخارجية حيث إنه في إطار الجغرافيا قد تكون هناك دول أكثر عرضة للغزو من غيرها، في حين قد تحتل بعض الدول مواقع إستراتيجية أكثر أهمية من غيرها، كما الموقع يؤثر على المناخ ومن ثم هذا يؤثر على نمو المحاصيل مما يؤثر على قدرة الدولة في تعبئة قدراتها لمواجهة الدول الأخرى.**
- **إن أساس الواقع الاجتماعي هو الجماعة؛ فالأفراد في عالم يتسم بندرة الموارد يواجهون بعضهم البعض ليس كأشخاص, إنما كأعضاء في جماعة منظمة تشكل الدولة، ومن ثم فإنّ مرتكز الحياة السياسية يتمثل في جماعات نزاع وبالتالي إذ تغيرت تلك الجماعات فإنّ الطبيعة الرئيسة للنزاع لا تتغير ومن ثم لا يكون هناك انسجام في المصالح.**
- **إن السياسة لا يمكن أن تحددها الأخلاق وبالتالي المبادئ الأخلاقية لا يمكن تطبيقها في العمل السياسي، ولقد أكد على ذلك ميكافيللي بقولة" الأخلاقية هي نتاج القوة وكذلك أكد هوبز على ضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة.**
- **إن النظرية السياسية تنتج عن الممارسة السياسية وعن تحليل وفهم التجارب التاريخية ودراسة التاريخ، فالسياسة لدى الواقعيين ليست وظيفة أخلاق ومن ثم النظرية تنبثق عن الممارسة والخبرة التاريخية؛ لذلك وجب الفصل بين الأخلاق والسياسة.**
- **صعوبة تحقيق السلام عن طريق القانون الدولي أو حتى الحكومة العالمية ومن ثم يجب البحث عن سبل أخرى من أجل تحقيق السلام وأهم هذه الطرق استخدام القوة.**
- **تعتبر هذه النظرية الأخلاق والدين بأنها ليست أفكار عقلانية. لأنها تقوم على العواطف والأحاسيس وهو ما لا تقوم عليه الدول،لذلك لا يعطونها الأهمية التي يعطيها إياهم المثاليون.**
- **وجود عوامل ثابتة وغير قابلة للتغير تحدد السلوكية الدولية وبالتالي فمن الخطأ، كما فعل المثاليون، الرهان على أن المعرفة والثقافة، يمكن أن تغير بسهولة في الطبيعة البشرية وفي الرأي العام(٣٩).**
- **لا ينظر للقائد السياسي كشخص غير أخلاقي، فهم لا يعطون هذه القضية الأهمية التي يعطيها لها المثاليون، فالمسألة في النهاية تتمثل في أي مدى يستطيع القائد السياسي أن يحقق أهداف سياساته الخارجية دون تعريض الدولة التي يمثلها للخطر.**

---

(٣٩) المرجع السابق نفسه، ص٣٩.

- نظراً لغياب سلطة مركزية تحتكر القوة وتستطيع فرض إرادتها على الكل كما هي الحال في داخل الدولة تتسم العلاقات الدولية بالفوضى التامة والقوانين حيث إن الأخلاقيات تأثيرها محدود للغاية, إن لم يكن معدوماً, فالحقيقة الأساسية في العلاقات بين الدول هي القوة والدول تعمل دائماً على زيادة قوتها ليصبح الصراع أمراً طبيعياً في العلاقات بين الدول, بينما الصداقة إذا وجدت فهي نتيجة التقاء المصالح(٤٠).

ثالثاً: الرؤى التطبيقية للنظريات الكلاسيكية والمعاصرة في العلاقات الدولية:

هناك عدة رؤى تطبيقية للنظريات الكلاسيكية والمعاصرة والمرتبطة بالسياسة الداخلية والخارجية للدول يمكن إيضاحها على النحو التالي(٤١):

أ- الترابط بين السياسية الداخلية والخارجية:

تعدُّ مشكلة الترابط والتفاعل بين السياسية الداخلية والخارجية من أكثر المشكلات تعقيداً, حيث كانت وما تزال مادة الجدال والنقاش في العديد من الاتجاهات النظرية في علم السياسية الدولية مثل الماركسية والواقعية الجديدة، فعلى سبيل المثال بالنسبة لمؤيدي الواقعية الجديدة فإنّ السياسية الداخلية والخارجية على الرغم من أن لها جوهراً واحداً, والتي هي حسب وجهة نظرهم تؤدي إلى الصراع من أجل القوة وفي الوقت نفسه تبقى هناك مجالات عديدة ومبدئية لنشاط الدول حسب الماركسية السياسية الخارجية هي انعكاس للجوهر الطبقي للنظام السياسي ومرتبطة في نهاية المطاف ما يحدد هذا الجوهر هو العلاقات الاقتصادية في المجتمع بمقتضى ذلك فإنّ السياسية الداخلية والخارجية تملكان استقلالية ذاتيه في علاقاتهما المتبادلة.

ب- قواعد نظرية توازن القوى:

لنظرية التوازن قواعد عديدة تتمثل في أنه لدى أي دولة إمكانية تزيد من قوتها دون اللجوء إلى الحرب أي من خلال المفاوضات للوصول إلى:

- الهدف الأساسي لكل دولة وهو حماية مصالحها الوطنية.
- يجب عدم القضاء على الممثل الرئيس في مسرح السياسية الدولية.
- يجب على الدول السعي للمنع من تشكيل تحالف يؤدي إلى زعزعة النظام العالمي.

---

(٤٠)المرجع السابق نفسه، ص٤١.

(٤١) توفيق، سعد حقي، "مبادئ العلاقات الدولية"، مرجع سابق، ٢٠٠٦م، ص٦٧.

- على الدول أن تمنع الآخرين من توقيع تحالف مخالف للمبادئ فوق القومية أي مبادئ النظام العالمي.
- يجب السماح للدول المهزومة بالدخول في النظام العالمي مرة أخرى[٤٢].

ج- متخذو القرار في العلاقات الدولية:

إن متخذ القرار هو عملية تنجم عن انتقاء اجتماعي لاختيار يهدف إلى تحقيق أمنية وطنية كما تخيّله صناع القرار، وهناك بعض المعايير للفاعل الدولي نذكر أهمها[٤٣]:

١- أن يكون له كيان قابل للتحديد.

٢- أن يكون لديه قدر من الموارد والإمكانات.

٣- أن تتوفر لديه القدرة على التفاعل مع غيره من الفاعلين الدوليين.

٤- أن يتمتع بالقدرة على البقاء والاستمرار.

وهناك عوامل تؤثر على متخذي القرارات في السياسات الخارجية من أهمها:

- دوره الرسمي في جهاز اتخاذ القرارات المسؤول ومدى ما يتمتع به من صلاحيات.
- فكرته عن مصالح دولته وطبيعة تقييمه لها.
- تقييمه للنتائج التي يحتمل أن تقود إليها مشاريع القرارات الخارجية البديلة.
- طبيعية إدراكه للمواقف الخارجية ولمدى ما يتضمنه من خطورة أو تهديد.
- الظروف الخاصة بالبيئة الداخلية في دولته.
- الضغوط النابعة من تقيده بارتباطات وتعهدات دولية سابقة.
- توقعاته عن ردود الأفعال التي يتحمل صدورها عن الأطراف الخارجية ذات العلاقة بالموقف.
- توجهات الرأي العام الداخلي وتوقعاته من هذه المواقف الخارجية.
- الميول الشخصية لمتخذ القرارات الخارجية أو انتماءاته المذهبية.

د- التجاوزات التي تقوم بها الدول عقب توقيعها على المواثيق الدولية:

- شيوع الاستخدامات غير المشروعة للقوة في ممارسات الدول.
- شيوع تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

---

(٤٢) المرجع السابق نفسه، ص٦٨.

(٤٣) فتحى، رشيدة التريكى، "فلسفة الحداثة"، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٤.

- رغم كون المواثيق الدولية تحض على عدم وضع عراقيل من شأنها أن تعيق التنمية الاقتصادية لغيرها من الدول, وتعتبر ذلك عملاً محظوراً إلا أنّ هذا السلوك يشيع في ممارسات الدول لقوتها القومية دون أي اكتراث بذلك.
- إنّ دولاً كثيرة قد تعرقل أو تتخذ موقفا سلبياً أو لا تتجاوب لانطلاقها من اعتبارات مصالحها القومية.

هـ- التحديات التي تواجه المنظمات الدولية:

- تحديات الأمن في مواجهة سباقات التسلح وتفاقم الحروب والصراعات الإقليمية وفشل نظام الأمن الجماعي.
- تحديات التنمية في مواجهة ضيق قاعدة الموارد المناخية للتنمية, هذا فضلاً عن الانفجاريات السكانية ومشكلات عدم الاستقرار التي تعاني منها معظم الدول النامية.
- التحديات الناجمة عن اتساع الفجوة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.
- التحديات النابعة من الحاجة إلى حماية البيئة الإنسانية والطبيعية في مواجهة المخاطر التي تتولد عن التطبيق المتزايد للتكنولوجيا.
- التحديات الناجمة عن إهدار الحقوق والحريات الإنسانية الأساسية وتعرضها للانتهاك المستمر في مناطق واسعة من العالم.
- التحديات الناتجة عن ارتفاع نسب ومعدلات الأمية في العالم(٤٤).

و- التوجهات الرئيسية للسياسات الخارجية للدول:

ويمكن حصرها في ثلاثة توجهات رئيسة:

- توجه العزلة الخارجية: يعكس هذا التوجه الخارجي مستوى منخفضاً من الانغماس في أنشطة النظام السياسي الدولي ومن المشاركة في مشكلاته وقضاياه. وفي الواقع ينبع هذا التوجه نحو العزلة الدبلوماسية الدولية من فرضية تعد أن العزلة هي أفضل الضمانات المتاحة لحماية أمن الدولة وصون استقلالها والدولة التي تتبع هذا النهج تكون مقطوعة الصلة دبلوماسياً واقتصادياً بغيرها من الدول وتبني هذا الخيار في السياسية الخارجية لا يرتبط بوجود تهديدات خارجية أو اقتصادية، بصفة عامة أن النمط الانعزالي من السياسات

(٤٤) المرجع السابق نفسه ، ص٤٧.

الخارجية للدول لم يعد يلائم ظروف العلاقات الدولية المعاصرة التي تتصف بدرجة عالية للغاية من الاعتماد الدولي المتبادل.

- توجه عدم الانحياز: الحياد: الوضع الدولي القانوني لدولة ما والذي يمتنع معه أن تأخذ موقفاً منحازاً إلى أحد جانبي صراع دولي مسلح يقع خارج حدودها الإقليمية.
- الدولة غير المنحازة: هي التي تختار هذا النهج الخارجي بكامل إرادتها دون أن يكون ثمة إلزام قانوني دولي لها بأن تفعل ذلك ولها أن تتراجع عن خيارها غير المنحاز متى اقتنعت بأن ثمة ضرورات استجدت في واقعها تدعوها إلى ذلك.

س- دوافع الدولة إلى انتهاج سياسة عدم الانحياز في العلاقات الدولية:

- قد يكون عدم الانحياز أداة تلك الدول في الحصول على الحد الأقصى من المزايا الاقتصادية من المجموعات الدولية المختلفة.
- قد يكون عدم الانحياز أحد العوامل التي تساعد على تخفيف الشروط والقيود السياسية التي تقترن بحصول الدولة غير المنحازة على معونات اقتصادية خارجية.
- قد تكون سياسية عدم الانحياز أكثر استجابة للظروف السياسية الخارجية التي تفضل خيار عدم الانحياز على التورط الخارجي.

ح- التوجه نحو التحالف الخارجي:

- التحالفات الدبلوماسية: تسعى إلى تعظيم النفوذ الدبلوماسي لأطرافها في مواجهة وضع دولي معين تمسُّ مصالح تلك الأطراف بصورة مهمة ومباشرة.
- التحالفات العسكرية: أخطر من الدبلوماسية وقد تتفاوت فيما بينها من عدة جوانب[٤٥]:

– طبيعة المواقف الخارجية التي تتطلب وضع تلك التحالفات موضع التنفيذ.
– طبيعة الالتزامات التي تتحملها الدول الأطراف في تلك التحالفات العسكرية
– مستوى التعاون العسكري الذي تحققه هذه التحالفات بين القوات التابعة لكل دولة طرف فيها فالتعاون هو أقلها والتكامل هو أعلاها
– المدى الجغرافي الذي تغطيه الأطراف المتحالفة عسكرياً حيث تزيد هذه المخاطر مع اتساعه وتقل مع ضيقه

(٤٥) صبري، إسماعيل، "العلاقات السياسية الدولية - دراسة في الأصول والنظريات"، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧١م، ص٨٦.

- الكيفية التي تتوزع فيها المسؤوليات الناجمة عن التحالف
- الكيفية التي يتطور بها الموقف الخارجي الذي استدعى قيام ذلك التحالف العسكري وما يتركه ذلك من انعكاس إيجابي أو سلبي

ك- أسباب ضعف التحالفات العسكرية:

- سوء التنسيق أو ضعف التخطيط المشترك.
- التعارض الواضح في أهداف أطراف التحالف.
- التباينات الجذرية فيما تدين به أطراف التحالف من قيم سياسية واجتماعية ومنظومات عقائدية.
- بيئة السياسية الخارجية لأي دولة تتضمن أبعاداً رئيسة هي[٤٦]:

- البيئة الدولية الخارجية: وهي بحقائقها وضغوطها ومؤثراتها قد تهيئ إمكانيات إيجابية, بينما قد تحد من إمكانات التصرف الأخرى البديلة، ويقع على عاتق متخذي القرارات الخارجية عبء تفسير مغزى المواقف الدولية التي يكونون أطرافاً فيها.
- البيئة الداخلية: الأوضاع الاجتماعية السائدة في النظام السياسي والاقتصادي للدولة والمنظمات الحكومية والرأي العام تشير الى أن ديمقراطية النظام السياسي تزيد حجم المشاركة بالمشورة والرأي حول القضايا التي تمسها قرارات السياسة الخارجية للدولة.
- طبيعة الهيكل التنظيمي الرسمي: الذي ترسم في نطاقه هذه السياسات الخارجية, وما يتعلق بها من قرارات, وتختلف الهياكل التنظيمية من حيث درجة تشعبها وتعدد مستوياتها وتعقد الإجراءات التي تحكم عمليات الاتصال التي تتم فيها.

(٤٦) المرجع السابق نفسه، ص٨٨.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها:

١- **إنه لا تكفي النظريات فقط للإبقاء على الفصل بين النظرية والتطبيق، ولكنها أيضاً تكيل انتقادات لاذعة لكل من لا يحترم هذا التمايز. لقد حدثت هناك العديد من النقلات النظمية في حقل العلاقات الدولية في اتجاه تكريس هذا التمايز، وينجلي ذلك على التفريق بين المثالية والواقعية.**

٢- **إن العلاقات الدولية هي ظاهرة تاريخية، إذ لا يمكننا أن ننكر الدور الكبير الذي لعبته العلاقات الدولية في الحضارات القديمة، فالعلاقات الدولية هي اليوم نتيجة لتراكمات تاريخية ساهمت فيها كل الحضارات البشرية عبر التاريخ.**

٣- **إن العلاقات الدولية كباقي العلوم, لها صلة بعلوم أخرى، كما أن لها مبادئ تحكمها وعوامل تؤثر فيها. لذا لا توجد نظرة حقيقية صادرة عن ملاذ أكاديمي بمعزل عن تأثيرات القوة والسياق الاقتصادي والسياسي، والاجتماعي والثقافي، وبهذا فإنه لا توجد نظرة تتوافق مع الحقيقة، فالنظرية ليست مرآة للطبيعة.**

٤- **إن النظام الدولي مازال ينظر إلى العديد من سماته الأساسية بأنه يمثل نظاماً مابين الدول, لكن هذا لا ينفي أن العديد من القوى قد مارست تأثيرها على نحو مغاير للدولة القومية التي تسعى في نطاق قدرتها على تشكيل الأحداث في بعض المجالات من ناحية, ولكن ضيقت من هذه القدرة في مجالات أخرى.**

٥- **إن النظرية الواقعية تمتلك جذوراً فكرية وفلسفية في التاريخ حيث ترجع التقاليد الواقعية إلى اليونان، ولكن بروز الواقعية كنظرية للسياسة الخارجية وطرحها في المجال الأكاديمي ترتبط بالفكر السياسي الأمريكي في القرن العشرين.**

٦- **إن كلاً من الواقعية والعالمية يقدمان منطلقات مهمة لفهم عملية التطورات الدولية بين هذه المنطلقات يثير الاضطراب لأنه لا يمكن أن تكون جمعيها صحيحة.**

٧- **إن تأثير الواقعية في العلاقات الدولية يذهب إلى اهتمامات الدول بالأمن والرخاء في ظل القومية المعاصرة والتي بدورها تؤثر على السياسات الدولية المعاصرة.**

٨- **إن الإقرار بوجود مكان معزول ومؤمن حيث يتيسر للأكاديميين الحقيقيين ملاحظة العالم، يتوقف على تصور مسبق للعالم، لا يتم الإقرار به في العادة. مثلاً: النظرة للعلوم الاجتماعية تقارب للعالم كمعطى مسبق تماماً مثلما تقدم نفسها للمحللين كطرف خارجي ومنفصل، وهي بذلك لا تبحث في الطريقة التي تتشكل بها النظرية والعالم، لتعاود النظرية تشكيله ليقوم بعدها في الأخير.**

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

(أ) الكتب:

١. المسيري، عبد الوهاب، "دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة"، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢. توفيق، سعد حقي، "مبادئ العلاقات الدولية"، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٦م.

٣. زهدي، سوسن، "دراسة في النظريات في العلاقات الدولية ... هل النظرية مفتاح لفهم الأحداث الدولية؟"، الأردن العربي، ٢٠١٠م.

٤. صبري، إسماعيل، "العلاقات السياسية الدولية - دراسة في الأصول والنظريات"، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧١م.

٥. عامر، مصباح، "الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية"، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٦م.

٦. عصام، محمد، "العلاقات الدولية شيء من النظرية وآخر من التطبيق"، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧. عودة، جهاد، "النظام الدولي- نظريات وإشكاليات"، دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٨. فتحي، رشيدة التريكى، "فلسلفة الحداثة"، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٢م.

(ب) الرسائل:

١. فرج، أنور محمد، "نظرية الواقعية في العلاقات الدولية-دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة"، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٧م.

٢. حجاج، عبد الفتاح ولد، "العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي"، أطروحة دكتوراه، جامعة الحسن الأول، ٢٠١٤م.

٣. غضبان، مبروك، "المدخل للعلاقات الدولية"، ورقة بحثية مقدمة لاستكمال درجة الماجستير، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، الجزائر، ٢٠٠٤م.

٤. ملاح، السعيد، "تأثير الأزمة الداخلية على السياسة الخارجية الجزائرية"، رسالة ماجستير، قسم العلاقات الدولية، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٥م.

٥. نصر، محمد نصر، "مدخل إلى علم العلاقات الدولية في عالم متغير"، المكتبة الجامعية بالإسكندرية، القاهرة، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٦. يخلف، عبد السلام، "محاضرة: التبويب النظري للعلاقات الدولية عند (ستيفن وولت)"، قسم العلوم السياسية، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٤م.

(ج) **المجلات**:

١. مصطفى، نادية محمود، "نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد"، مجلة السياسة الدولية، العدد (٨٢)، أكتوبر ١٩٨٥م.

٢. صدقي، السيد، "تحليل العلاقات الدولية من منظور بنائي"، مجلة النهضة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣. فرج، نورة، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠م.

(د) **التقارير**:

١- تقرير: "الواقعية والمثالية في تحليل العلاقات الدولية"، المركز العربي للدراسات والأبحاث، القاهرة، ٢٠١١م.

٢- تقرير: "القوة الثابتة للواقعية بعد الحرب الباردة"، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٦م.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

Book:

1- Charles Boasson, **"Approaches to the Study of International Relations"**. Van Gorcum & Comp., Netherlands, 1972.

2- Charles Kegley and Eguene R. Wittlkopf, **"World Politics Trend and Transformation"**, New York: Worth Publishers 10 Th ed, 2006.

3- Chris Brown, **"Understanding International Relations"**. Second edition. Palgrave, Hampshire, England, 2001.

4- James Dougherty & Robert Pfalzgaraff, "Contending Theories in International Relations", 1987.

5- John Baylis & Steve Smith, **"The Globalization of World politics: an Introduction to International relations"**. Third edition. Oxford University Press, Oxford، UK, 2005.

6- Kenneth Waltz, **"Theory of International politics"**. Addison-Wesley Publishing Company, Reading, Massachusetts, 1979.

7- Michael Sullivan, **"International Relations: Theories and Evidence"**. Prentice Hall, New Jersey, 1976.

8- Quincy Wright, **"Development of a General Theory of International Relations"** in Horace Harrison, ed., The Role of Theory in International Relations. D. Van Nostrand Company, inc., Princeton, 1964.

9- Stanley Hoffmann, **"Contemporary Theory of International Relations"**. Prentice-Hall, inc., New Jersey, 1960.